



المسلمون الشيعة في زنجبار

- الوجود العربي الإسلامي في شرق إفريقيا.
- الشيعة في شرق إفريقيا.
- من أعلام الشيعة في زنجبار - الشيخ صالح بن علي الشيباني.
- الشيعي العماني أحمد بن نعمان الكعبي.
- أول سفير عربي يصل إلى أمريكا عام ١٨٤٠ م.
- صورة مخطوطة فريدة تمثل الدفتر الخاص للسفير أحمد الكعبي الذي كتبه خلال رحلته الدبلوماسية إلى أمريكا، حصلت عليها الموسم من عائلته.
- صور لنماذج من المخطوطات العربية في المآتم الشيعي بزنجبار.
- صور نادرة عن مجتمع الشيعة في زنجبار.
- صور نادرة لوقفيات ووصايا ورسائل تخص شيعة زنجبار.

تمهيد

الوجود العربي الإسلامي في شرق أفريقيا

أتى عرب الخليج والجنوب إلى شرق أفريقيا بغرض التجارة والاستقرار منذ وقت مبكر، وقد ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لأفريقيا، لأن للرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي تأثيراً كبيراً على تاريخ أفريقيا الشرقي، ففي خلال دورة الرياح هذه يتم التبادل التجاري، وفي الفترة السابقة للإسلام اكتفى العرب بالاستقرار المؤقت على الساحل ولم يحاولوا التوغل في الداخل مكتفين بإنشاء المراكز التجارية لتصدير الذهب والعاج والرقيق الذي كان يحمل للدول القديمة وهي الامبراطورية الفارسية والرومانية، وبعد ظهور الإسلام، دفعت الظروف الجديدة العرب إلى محاولة الاستقرار الدائم، وإقامة كيانات سياسية عربية إسلامية في شرق أفريقيا. ويروى أن جماعة من الزيديين (من سلالة زيد بن علي بن الحسين حفيد رسول الله (ص)) كانوا أول من هاجر إلى تلك السواحل وعمر بها المدن، وكان سبب هجرتهم الاضطهاد الذي عانوه بعد استشهاد الإمام زيد بالكوفة في عهد هشام بن عبد الملك^(١)، ثم توالى الهجرات العربية الإسلامية من سواحل الجزيرة العربية «الاحساء - البحرين - عمان - حضرموت - اليمن». ويظهر أن المهاجرين الأوائل أبوا الخضوع للوافدين الجدد بسبب اختلاف المذهب بين السكان العرب وكانوا زيديين وبين الوافدين الجدد وكانوا من الشافعيين، ولما عجز الزيدون عن مقاومة خصوصهم في المذهب تركوا المدينة وتوغلوا في الداخل، وعلى مرّ السنين تم تزواجهم مع القبائل الأفريقية الخالصة، وقد عرف هؤلاء باسم «الاموزيديج» والكلمة تحريف لكلمة الزيديين، ويؤكد (جيان) على أن (مقديشو) أسسها الفاطميون سنة ٢٩٦ هـ، وأن كلوه وهي جزيرة صغيرة تقع على مقربة من ميناء دار السلام الحالي، أنها أسست سنة ٢٦٥ هـ، بينما يقول البعض أن مؤسسها هو أحد أبناء ملك شيراز واسمه علي بن الحسن، وذلك سنة ٤٠٠ هـ وأنه لم يطب له العيش في بلاده، فرحل إلى مقديشو فاتجه إلى كلوه واشتراها بثياب «ملونة» سوداء وببيضاء وغيرها من ألوان مختلفة، وقد نجح بعض أبنائه في تأسيس مدن أخرى على السواحل^(٢) وقد ازدهرت تلك المدن فيما بعد وسبب ذلك أن تلك المدن قام بها تجار أو مضطهدون سياسيون أو دينيون في أوطانهم، ولم تقم بفتح أو توسيع حربي، وقد استمر السواحليون يعترفون بالسيادة العربية أو الفارسية حتى قدوم البرتغاليين الذين استغلوا فرصة التفكك بين هذه الامارات فوطدوا سيطرتهم عليها، وسرعان ما طلب أهالي ممباسة النجدة من الإمام

(١) وقد أكد هذه الحقيقة جيان: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية - تعريب: يوسف كامل

ط ١ القاهرة ١٩٢٧ ص ٧٢، حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام والعروبة فيما وراء الصحراء الكبرى

وشرق القارة الأفريقية وغيرها ص ٢٨٥، دولة البعارة تأليف عائشة السيار ص ٩١ (ط ١ - ١٩٧٥).

(٢) الصوافي: السلوة في أخبار كلوه ص ٢٧ وما بعدها (عمان ١٩٨٥ م) وكتاب زنجبار: ص ٧.

العُماني سلطان بن سيف فأرسل الإمام سلطان عدداً من السفن العمانية سنة ١٦٥٥ م لمهاجمة المستعمرات البرتغالية في زنجبار ونجحت الحملة، واضطرت إحدى النساء اللاتي يحكمن زنجبار إلى الخضوع لسلطة حاكم عمان ودفع الجزية له. واستمرت الثورات المحلية ضد البرتغاليين بمساعدة أئمة عُمان وكانت الحرب سجال بين الطرفين مدة طويلة حتى انتهت بالتفوق البحري العُماني وانتصاره على البرتغاليين ثم أخذت السيادة العمانية في التزايد على المحيط الهندي، وأصبحت قوة الأساطيل البحرية العمانية تخشاهم الأساطيل الأوربية كما يعترف بذلك المؤرخ كوبلاند (Coupland) فبعد سقوط ممباسة في عام ١٦٩٨ م في يد عرب عمان بدأت مرحلة أخرى في تاريخ شرق افريقية، فقد أزيل الاحتلال والسيطرة البرتغالية وبدأت الجماعات العربية تفرض سيادتها على الساحل، وقد قام اليعاربة بالاعتماد على بعض الأسر العمانية العريقة ليولوها المراكز الرئيسية في ممتلكاتهم الافريقية، ولكن النفوذ العُماني هناك تعرض لفترة من الضعف بسبب الظروف التي مرت بها دولة اليعاربة، وقيام دولة جديدة هي دولة البوسعيد عام ١٧٤١ م وقد انتهز المزاريع في ممباسة فرصة تغيير الاسرة الحاكمة في عمان فأعلنوا استقلالهم إلا أن السلطان أحمد بن سعيد استطاع أن يفرض سيادته فيما بعد على الممتلكات الافريقية سواء بالولاء أو بالخضوع الاسمي. ومنذ بداية القرن التاسع عشر بدأت مرحلة جديدة في تاريخ شرق افريقيا، إذ تمكن السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦ - ١٨٥٦ م) من إنشاء دولة عربية كبيرة تعتبر أول دولة آسيوية افريقية تشكل في العصر الحديث، ولهذا يعتبر السيد سعيد بن سلطان من أكبر شخصيات العالم العربي في عصره، وبرزت أهمية الساحل الشرقي لافريقية، فقد جعل من زنجبار عاصمة ثانية لملكه، وفي سنة (١٨٣٢ م - ١٢٥٩ هـ) جعل زنجبار عاصمة مملكة عمان وافريقية الشرقية، وحول إليها ديوان حكومته وانتقل معه فئات من العرب العُمانيين، وقد حاله وأصحابه توفيق كبير لا مثيل له فعمت التجارة، واتسع نطاقها إلى حدٍ لم يعرف له نظير قبله، وامتد صيت زنجبار ونفوذها وطارت شهرتها اتساعاً من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلنطي، وقد تزوج السلطان سعيد عام ١٨٣٣ بسيدة إيرانية وهي ابنة أويس ميرزا العجمي وصحبته إلى زنجبار سنة ١٨٤٩ م ومعها حاشية كبيرة، وقد بنى لها الحمام الفارسي في (كجيشي) بزنجبار. وكان سعيد ذكياً مستنيراً حريصاً على تنمية المعلومات والتعرف على أعمال الزعماء من معاصريه وكان يحتفظ بكثير من الصفات البدوية الأصيلة، وكان يلبس لباس مواطنيه، ويظهر في المناسبات بدون المظاهر التي يحرص عليها السلاطين والملوك رغم أنه شابهم في اتخاذ السرايا من النساء حتى قيل أن مجموع أولاده مائة واثنان عشر ولداً وقد توفي في البحر في حال رجوعه من عمان إلى زنجبار، يوم ١٩ صفر ١٢٧٣ هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٥٦ م. على متن سفينته المسماة: (فيكتوريا) ودفن بزنجبار التي اختارها وأحبها واتخذها موطناً له.

الشبهة في افريقيا الشرقية (١)

يتأكد وصول الشيعة إلى افريقيا الشرقية في وقت مبكر وتأثيره التأثير العميق في الحياة الافريقية بما ورد في الملحمة السواحلية «النظم في أحوال الحسين بن علي عليه السلام» التي نشرها سنة ١٩٦٠ الأديب الافريقي (بورو) مع تعليقات وترجمة «ألن».

وهذه الملحمة كتبها في القرن التاسع عشر حمد عبد الله البحري - ويظهر أنها إعادة لكتاب سابق - وتحتوي هذه الملحمة على ألف ومائتي وتسع مقطوعات شعرية.

ويشير (برنس) إلى تأثير وصول الشيرازيين الأقدمين إلى السواحل الافريقية الشرقية وكيف انطبع الشعب بالطابع الشيعي حتى الآن فهو يقول: «أثر هؤلاء لا يزال ظاهراً في قلب من المودة العميقة لأهل البيت التي تعد من ميراث المسلمين الافريقيين».

ويضيف إلى ذلك: أن هؤلاء الافريقيين يضيفون إلى أسماء سلاطات الرسول كلمة شريف التي انقلبت في اللغة السواحلية إلى كلمة (شريفو) كما أنهم يكرمون الصالحين من أموات هؤلاء الأشراف. ويقول: «وعلى طوال الشواطئ تقوم مزارات هؤلاء الأشراف الصالحين وهي (لامو) أهم مركز للزيارة حيث يؤمها في اسبوع الزيارة عشرات الألوف كل عام. وتعتبر زيارة الشريف صالح بن عبد الله العيدروس في لامو أفخم الزيارات وأهمها».

ويقول السيد سعيد اختر: «وهذه الدرجة من الإكرام الكبير لأهل بيت الرسول لا يوجد لها مثيل في بلد من البلاد الأخرى. إلى أن يقول: واني أعرف كثيراً من الشيوخ في لامو وزنجبار ممن يصرّحون باعتقادات تعتبر في البلاد الأخرى من اعتقادات الشيعة».

وهذا كله ولا شك من أثر الهجرات الشيعية القديمة التي حملت الاسلام إلى افريقيا، ثم تبدل الزمن وتوالى على تلك السواحل الافريقية أنواع شتى من الدول والحكام فلم يبق التشيع فيها مذهباً سائداً ولكنه ظل مؤثراً في الحياة العقلية.

ويقول محمود شاكر في كتابه (تنزانيا) الصفحة ١٣: لقي الشيعة أنواعاً من الاضطهاد وأصنافاً من العذاب، فمنهم من قتل ومنهم من قضى نحبه في غياهب السجن، ومنهم من فرّ من وجه العباسيين فمن هؤلاء الذين فروا، جماعة في أواخر القرن التاسع الميلادي متجهين نحو شرق افريقيا، وتوزعوا هناك جنوب مقديشو، وكانوا يدعون للاسلام - حسب مذهبهم - فانتشرت الدعوة على يدهم.

وذهبت جماعة أخرى من شيراز يعود إليهم الفضل في نقل المذهب الشيعي (يقصد نقل الاسلام على المذهب الشيعي) إلى تلك الأصقاع. وتروي الأخبار أن من أشهرهم رجلاً يدعى الحسن بن علي ذهب إلى شرق افريقيا لأسباب وظروف غامضة مع أبنائه الستة في القرن العاشر

الميلادي حوالي العام ٩٧٥ م ففترقت بهم السفن قبل الوصول، فنزل أحدهم في مدينة مومباسا، ورست مراكز الآخر في جزيرة بمبا، بينما وصل الثالث إلى جزيرة جوهانا إحدى جزائر القمر. أما الأب فقد نزل مع بعض أبنائه الآخرين في مدينة كيلو. واستطاع الأب أن يؤسس بعد نزوله بمدة من الوقت حكومة امتدت حتى شملت المناطق التي يقوم فيها أبناؤه.

الشيعة اليوم في افريقيا الشرقية^(١)

يوجد الشيعة في كل من تنزانيا، وكينيا وأوغاندا والصومال وموزامبيق. كما يوجدون في جزيرة مدغسكير وكل من جزيرتي موريتشس وريثونيون الواقعتين في جنوب المحيط الهندي. ويوجدون في الكونغو.

يعيش الشيعة في افريقيا الشرقية حياة اجتماعية مثالية يصح أن تكون قدوة لكل مجتمع يريد أن تكون حياته حياة الخير والحق. فهم في معظمهم من أصل غير افريقي هاجر أجدادهم من شبه القارة الهندية منذ أكثر من مائة وعشرين سنة فاستقروا في هذه المناطق في كينيا وأوغندا وتنزانيا وزنجبار والكونغو ومدغسكير^(٢) وتخلو بحكم حياتهم الجديدة عن وطنهم نهائياً وصاروا جيلاً بعد جيل من أبناء البلاد يحملون جنسياتهم ويتكلمون لغتها ويحيون حياتها. ولكنهم لم يتخلوا عن حقائقهم بل حافظوا عليها محافظة لا مثيل لها.

إن أجدادهم القدامى هم من الهندوس في الأصل ثم اعتنقوا الاسلام، وكل من كان هندوسياً واعتنق الاسلام يطلق عليه في الاصطلاح الهندي لقب (الخوجا) فهم كلهم من الخوجا، وكلهم يتكلمون اللغة الكجراتية، فهي لغتهم الأساسية وقد أوجدت فيهم هذه الروابط التحاماً فريداً فتمسكوا بالتشيع تمسكاً كاملاً وحافظوا على عقائدهم الاسلامية محافظة تامة وأخذوا على أنفسهم تربية أولادهم على ما رباهم عليه آباؤهم فظلوا على ما كانوا عليه منذ اعتنقوا الاسلام قبل أكثر من مائتي سنة من أصلب الناس عقيدة وأثبتهم إيماناً وأشدهم إقبالاً على الخير.

وهجرة المهاجرين الأولين كانت مع نسائهم، أما غير المتزوجين، فمن أراد الزواج كان لا بد من أن يستقدم هندية من جنسه وبذلك حافظوا على أصالتهم، فظلوا محتفظين بلغتهم وعقائدهم.

والطفل منهم من أجل الاحتفاظ بحقيقته مع مجارة الحياة الافريقية لا بد له من أن يتعلم أربع لغات معاً: اللغة الأم (الكجراتية) واللغة المحلية (السواحلية) ولغة الكثرة من مسلمي شبه القارة الهندية (الأوردية)، ثم اللغة الانكليزية، اللغة الرسمية ولغة الحياة اليومية. وقد ثبتوا على هذا ونفذوه.

(١) يركز هذا الفصل على الشيعة من جماعة الخوجة دون ذكر الشيعة الأفارقة الذين ازداد الآن عددهم كثيراً جداً. كما لم يتعرض لذكر الشيعة من الجنسيات العربية والآسيوية الأخرى وسنخصص لذلك بحوث مستقلة في المستقبل (الموسم).

(٢) كانت هجرتهم من «كجرات» ومن «زكج» المتجاورتين ولكل من هاتين المقاطعتين لغة خاصة بها ولكن اللغتين متقاربتان وتكتبان بحروف واحدة غير الحروف العربية.

ثم أن همّ الواحد منهم هو كيف يحفظ في أولاده دينهم الاسمي وعقيدتهم الشيعية، وأن هذا الهم هو همه الأول والآخر. وأن لا شأن من شؤون الحياة يصرفه عنه.

ولقد شهدتهم في اروشا وتانكا ومومباسا ومساجدهم عامرة بالشبان قبل الشيوخ، ورأيت أطفالهم ينكبون على القرآن يحفظونه ويرتلونه، ورأيت فتيانهم شعلاً من الإيمان.

ولقد كان من حسن حظي أن قضيت الأيام الأخيرة من شهر رمضان ١٣٨٥ - ١٩٦٦ بينهم في مدينة مومباسا، فرأيتهم يُقبلون كل يوم قبل الغروب على الحسينية المجاورة للمسجد والتي لا يفصلها عنه إلا ممر طويل، فيجلسون هناك حول موائد طويلة مفروشة على الأرض وقد أحضر كل واحد منهم شيئاً قليلاً من الطعام يبسطه على المائدة المفروشة، ويكون أشخاص معينون قد أعدوا الشاي لجميع الحاضرين. فما أن يعلن المؤذن حلول الغروب حتى يفطر الجميع معاً وكأنهم أسرة واحدة في بيت واحد، ثم ينتقلون إلى المسجد حيث يؤدون صلاة المغرب والعشاء جماعة، ثم ينصرفون إلى منازلهم لتناول العشاء، ثم يقبلون من جديد إلى المسجد فيقرؤون الأدعية المأثورة المعروفة، ويبقون هكذا ساعات في تهجد ودعاء. ثم ينتقلون إلى الحسينية حيث يستمعون إلى الخطباء والواعظين الذين ينهون خطبهم ومواظهم بذكر استشهاد الحسين. وهنا تكون الساعة قد بلغت الحادية عشرة فيبدأون بالانصراف إلى بيوتهم.

وفي خلال ذلك يكون أكثر من ثلاثين شخصاً بين طفل ومراهق وشاب جالسين على الأرض في جانب من المسجد يتعلمون تجويد القرآن وترتيله، وقد استمعت إليهم يرتلون القرآن أحسن ترتيل، لولا عدم استطاعتهم لفظ بعض الحروف لفظاً صحيحاً كالعين والحاء.

جميعياتهم

كان لهم جميعات منتشرة في كل مكان ولكن منذ عام ١٩٤٥ دخلت هذه الجمعيات كلها في طور جديد، إذ أنها ارتبطت كلها بنظام واحد يشرف على تطبيقه مجلس أعلى منتخب. ففي كل عام تعقد هذه الجمعيات أو (الجماعات) كما يسمونها هم تعقد مؤتمراً عاماً في مكان يعينه مجلس الاتحاد الأعلى فترسل كل جماعة مندوباً واحداً عن كل مئة نفس فيلتقي هؤلاء المندوبون في المكان المعين بشكل مؤتمر عام فيتدارسون شؤونهم الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ويتخذون المقررات التي تلتزم بتطبيقها جميع الجمعيات كل واحدة في منطقتها. ومما يقوم به مجلس الاتحاد الأعلى أنه يستدعي الفقهاء من الهند والباكستان ويتعاقد معهم لمدة أقلها سنتان وأكثرها ثلاث سنوات قابلة للتجديد ويدفع لكل منهم راتباً يتراوح بين ثلاثين أو أربعين ليرة استرلينية إذا كان بدون عائلة، كما يقدم له المسكن والطعام، والذين يتناولون رواتب أكثر من غيرهم هم الذين يحسنون أكثر من لغة كان يحسن أحدهم اللغة الانكليزية واللغة الكجراتية.

ويقوم هؤلاء الفقهاء بواجباتهم الدينية من صلاة جماعة ووعظ وإرشاد وتعليم والمجلس الأعلى هو الذي يحدد لهؤلاء الفقهاء أماكنهم، كما أنه يشترط على الواحد أن لا يقيم أكثر من سنة واحدة في مكان واحد ينتقل بعدها إلى مكان آخر. ويعطى الفقيه إجازة شهر عن كل سنة يستطيع أن

يذهب خلالها حيث يشاء. وعند التعاقد مع الفقيه تدفع له نفقات سفره من بلده إلى إفريقيا، وعند انتهاء مدة العقد تدفع له نفقات عودته.

وكان الحاج إبراهيم ديوجي هو صاحب فكرة استدعاء الفقهاء والتنظيم الذي وضع لهم، كما أنه عمل على تأسيس شركات تجارية بعد أن كان عملهم التجاري إفرادياً.

كما كان عبد الحسين نور محمد هو صاحب فكرة تأسيس الجماعات وإنشاء الاتحاد العام وذلك سنة ١٩٤٥ وقد انتخب رئيساً لأول اتحاد وظل ينتخب اثني عشرة سنة.

وفي كل سنة يعقد اجتماع عام للجماعات توفد فيه كل جماعة مندوباً واحداً عن كل مائة شخص وينظر هذا الاجتماع في شؤون الشيعة العامة - كما تقدم - وفي كل ثلاث سنوات يعقد مؤتمر عام ترسل فيه كل جماعة ثمانية مندوبين مهما كان عدد المنتمين إليها. وهذا المؤتمر ينتخب مجلساً جديداً للاتحاد العام مؤلفاً من الرئيس ونائبه والسكرتير وأمين الصندوق. ولهذا المؤتمر وحده حق تغيير ما يرى تغييره من مواد دستور الاتحاد العام.

عدد الجماعات

توزع الجماعات المرتبطة بالاتحاد العام كما يلي:

في إفريقيا الشرقية خمس وخمسون جماعة.

في جزيرة مدغسكر: إحدى عشرة جماعة.

في كل من جزيرة موريتشس وجزيرة ريثونيون^(١) جماعة واحدة.

في الصومال: جماعتان.

في موزامبيك: جماعة واحدة.

من أعمال المجلس

ومما يشرف عليه مجلس الاتحاد الأعلى أمر إثبات رؤية هلال رمضان وشوال حيث يظل على اتصال تلفوني مستمر طوال الليل مع جميع الفقهاء في كل أماكنهم، فإذا كان قد ثبت عند واحد منهم أو أكثر من واحد اتصل المجلس بكل الجماعات وأخبرها بذلك. هذا حين يغمر أمر الهلال فلا يرى في كل مكان. كما حدث حينما كنت في مومباسا، حيث ظل الفقيه مع رئيس المجلس وهيأة المجلس ساهرين في مكتب المجلس حتى الساعة الثالثة صباحاً حيث وصلتهم أخبار من دار السلام وليندي عن ثبوت الهلال لدى كل من فقيهيها فاتصلوا بجميع البلاد وأعلنوا لها أن العيد غداً فأصبحت جميع البلاد معبدة وكثيراً ما يعتمد المسلمون من غير الشيعة على الشيعة في هذا الأمر.

وقد تولى المجلس إرسال عدد من الطلاب إلى النجف وقم وكراشي ولكنو. كما أرسل بعض الطلاب الإفريقيين السود.

(١) تقع هاتان الجزيرتان في جنوب المحيط الهندي وعدد الشيعة في الأولى لا يزيد على المائة. وتوجد في الثانية عائلة واحدة.

ومما يذكر أن الشيعة في افريقيا الشرقية يحتفلون كل عام بيوم ٨ شوال وهو ذكرى تهديم قبور أئمة البقيع في الحجاز من قبل الوهابيين .

ومن المنشآت الشيعية في افريقيا الشرقية : (منازل المسافرين) وهي منازل بعضها موقوف وبعضها مملوك وبعضها مستأجر وموجودة في كل من : تانكا ومومباسا وزنجبار واروشا وموشي ودار السلام ، وتديرها الجماعة في كل من هذه المدن وينزل فيها المسافرون فيبيتون ويأكلون لقاء مال قليل . كما تقام فيها حفلات الزواج .

ويقول السيد مصطفى إمام زاده فيما كتبه :

من مشاهير الشيعة تجب الإشارة إلى الملا عبد الحسين المرعشي الشوشري المتوفى عام ١٣٢٠ هـ وقد شئت العناية الالهية أن تسخر هذا القديس العالم لنشر التشيع في افريقيا الشرقية وفي إحدى السنين تأخر الموسم وتلفت الحاصلات وقد تضرعت جميع الطوائف إلى الله كل على طريقته الخاصة طلباً للمطر ، ولم تؤد صلوات جميع الطوائف إلى نتيجة فطلب العاهل إلى الملا الشيعي أن يصلي على طريقته في المصلى فذهب الرجل القديس وصلى صلاة الاستسقاء طبقاً للتعاليم الشيعية ولم يكد ينتهي من صلاته حتى هبت العاصفة وحملت معها الأمطار الكريمة التي طال انتظارها . وقد سبب ذلك أن عدداً كبيراً بما فيهم العاهل اعتنقوا المذهب الشيعي وكان ما أراده الله .

وتجب الإشارة أيضاً إلى (كلب علي) الضابط الأول في المدفعية ووزير الحربية ولولا النفوذ السياسي لهذا الضابط النبيل الممتاز الذي كان يتمتع بثقة أثرياء الشيعة وثقة السلطان لما كان من الممكن أن يكون هناك للشيعة مساجد في زنجبار ولم تكن لنجهر من أعالي المآذن بنداء حي علي خير العمل . هذا بالإضافة إلى أننا مدينون إلى الجنرال كلب علي بإنشاء المقبرة الجميلة التي يرقد فيها إلى جانب هذا الدفين الجليل عدد من العلماء الأعلام والوجهاء الذي يتكون معظمهم من أصل فارسي .

وإليكم ما نقش على قبر منشيء المقبرة : وفاة السعيد المرحوم المبرور المأسوف عليه السيد محمد من سلالة افشار أروميا^(١) وفاته يوم الاربعاء ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٧ هـ وقد نقش على خاتمه :

«كلب أهل الكهف السبعة قد أنقذ من نار جهنم وكيف لا أنقذ وأنا كلب علي» .

والجنرال كلب علي هو الذي نقل إلى زنجبار المدافع القديمة التي نالت إعجاب الجميع وقد انتزعت هذه المدافع عام ١٦٢١ م من البرتغاليين في عهد الشاه عباس الأول شاه ايران وقد نقشت على فوهة أحد هذه المدافع باللغة الفارسية العبارة التالية :

(في حكم منقذ العالم وامبراطور الكون الشاه عباس الصفوي خادم الأمة وحاكم فارس

(١) افشار قبيلة من الأتراك بعضهم يسكن في بوادي اذربيجان في ناحية قلعة دمدم المعروفة هناك .

ولارستان وكوه خيلويا والخادم الأمين لسيد الكون في سنة ١٠٣٠ هـ بعد غزوه لارخبيل البحرين وقلعة (أورمز) قد انتزع هذه المدافع .

ولا ننسى كذلك اسم المرحوم علي ناتو الذي أدى خدمات كبيرة لدولة زنجبار خلال الفترة الواقعة بين ١٩١٤ - ١٩١٨ وقد قال له السلطان ذات يوم اختر أنت بنفسك الجائزة التي تريدها مقابل خدماتك فأجابه على الفور :

كل ما أريده أن يكون اليوم الحادي والعشرون من الشهر التاسع القمري واليوم العاشر من الشهر الأول يومي عطلة رسمية . ومنذ ذلك اليوم تعطل الدوائر الرسمية كل سنة في ذكرى مقتل الشهيد علي ومقتل الشهيد الحسين . (انتهى ما أورده السيد مصطفى إمام زاده) .

عدد الشيعة

يتوزع الشيعة في افريقيا الشرقية على الوجه التقريبي في حدود سنة (١٩٧٠ م) :

١ - في كينيا يبلغ عددهم ٢٦٤٥ . ٢ - في يوغندا يبلغ عددهم ٣١٠٥ . ٣ - في تنزانيا يبلغ عددهم ٨٩٠٠ . ٤ - في مدغشكر يبلغ عددهم ٥٠٠٠ . ٥ - في الصومال يبلغ عددهم ٧٥٠٠ . ٦ - في الكونغو يبلغ عددهم ٥٠٠ .
المجموع ٢٠٩٠٠

الشيعة البهرة

هذا الذي تحدثنا عنه يشمل الشيعة الجعفرية وحدهم ، وعدا هؤلاء فهناك الشيعة (البهرة) وهم موجودون في كل مناطق افريقيا الشرقية . ويمثل الداعي المطلق المقيم في بومباي (عامل) يقيم في مومباسا ولهم مؤسساتهم وجمعياتهم .

الاحتفال بمولد الحسين

في ممباسا

ومن الاحتفالات التي شهدتها في ممباسا الاحتفال بذكرى مولد الحسين ليلة الخامس من شعبان وتبدأ الاحتفالات قبلها بيومين ولكنها احتفالات محدودة . أما الاحتفال العام فقد أُقيم في المسجد ليلاً حيث كان المسجد مزداناً بالأنوار وغير الأنوار من أنواع الزينة . ثم أخذ الناس يقبلون على المسجد شيوخاً وشباناً وأطفالاً وقد ارتدوا أحسن ملابسهم ، حتى ملأوا المسجد بجموعهم . وقد بدأ الاحتفال بعد صلاة العشاء بأن خطب إمام المسجد باللغة الاردوية متحدثاً عن الحسين وأهل البيت ذكراً بعض الأحداث التاريخية والمواظ .

وبعد أن أنهى الخطيب كلمته التي استمرت أكثر من ساعة ، وقف رجل آخر وأخذ يتلو شعراً بالاردوية من كتاب بيده بإنشاد جميل ، ووقف الحاضرون كلهم يشاطرونه إنشاد بعض المقاطع ثم جلسوا ، وكانوا بين آوثة وأخرى يرددون معه وهم جلوس مقاطع فيها التسليم على النبي وعلي والزهاء والحسين بإنشاد جميل عذب رقيق .

وبعد الانتهاء من الانشاد وقف الجميع متابعين مع القارئ زيارة النبي والأئمة. ثم قدم الشاي لجميع الحاضرين. ثم أعلن أحد منظمي الاحتفال أنه سيحتفل في الليلة القادمة بذكر مولد العباس بن علي وفي الليلة التي بعدها بمولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين وفي اليوم الثاني أقيمت مأدبة غداء عامة في المسجد حيث تناول الجميع طعام الغداء جلوساً على الأرض في صفوف منتظمة وكانهم عائلة واحدة.

مولد العباس

وفي الليلة التالية ازدحم المسجد بالناس شيوخاً وشباناً وأطفالاً كالليلة السابقة وكان على نفس الزينة بالأنوار وغير الأنوار. وابتدأت الحفلة كما ابتدأت ليلة الحسين بأن صعد الخطيب على المنبر وتكلم بالاردوية ما يزيد على ٤٥ دقيقة. ثم نزل ووقف مكانه أحد الحضور وقد حمل كتاباً بيده وبدأ يرتل منه مطلع قصيدة عربية شهيرة، وهي القصيدة التي تبدأ:

بـال محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب
فهب الجميع وقوفاً، وما أن أنهى المنشد إنشاده للمطلع حتى أشده الجميع وقوفاً إنشاداً جليلاً عذباً. ثم جلسوا واستمر المنشد يكمل إنشاد بقية أبيات القصيدة وكان كلما انتهى من بيت يجيبه الجميع بصوت واحد منشدين المطلع. وهكذا حتى أنهى القصيدة كلها. فكان ذلك من ألطف ما شهدت في حياتي من حفلات.

وبعد الانتهاء من القصيدة العربية، أنشد المنشد نفسه شعراً بالاردوية كان يردد معه الحاضرون بعض مقاطعه، ثم وقف الجميع وتابعوا تلاوة الزيارة، ثم جلسوا فوزعت عليهم أكواب الشاي. وأعلن المعلن عن موعد احتفال الغد بمولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين. وفي ظهر اليوم الثاني تناول الجميع طعام الغداء في المسجد كما جرى ظهر أمس، وكانهم أسرة واحدة.

وهذا المسجد التي تقام فيه هذه الاحتفالات مخصص شطر منه لحضور النساء ويفصل بين الشطرين جدار يتجاوز علوه منتصف جدران المسجد بحيث يصل الصوت للنساء واضحاً جليلاً، وكان عدد النساء الحاضرات كبيراً إذ رأينا جموعهن الخارجة من المسجد تملأ الطريق. ولا أدري إن كانت النساء تشارك بالإنشاد أم لا، لأننا لا يمكن أن نسمع أصواتهن من مكاننا.

ميلاد زين العابدين

في الليلة الثالثة كان المسجد كالليلتين السابقتين من حيث الزينة والاجتماع، إلا أنه يلاحظ أن عدد الحاضرين كان أقل من الليلتين السابقتين. وبدأ الاحتفال كما بدأ من قبل بأن ألقى إمام المسجد خطاباً ثم وقف أحد الحضور وبدأ ينشد قصيدة عربية مطلعها: (سلام على عتره المصطفى) فوقف الجميع يرددون المطلع بينما كان هو يكمل القصيدة العربية، وعند كل بيت ينشد الحاضرون جميعاً المطلع. وبعد إنشاد بيتين أو ثلاثة جلسوا واستمروا بترديد المطلع

جلوساً. وعند انتهاء القصيدة العربية أنشدوا جميعاً قصيدة اردوية ثم وقفوا يتابعون قراءة الزيارة. ثم تناولوا الشاي. وخصص عصر اليوم الثاني لاحتفال الأطفال بهذه الذكرى، وكان مكان الاحتفال حديقة المقبرة الواسعة الواقعة في مكان مستقل عن القبور وأظن أن تخصيص هذه الحديقة بهذا الاحتفال لاتساعها ووجود مقاعد حجرية كبيرة وكثيرة تتسع لأكبر عدد من الحاضرين.

وفي الموعد المعين حضر جمهور كبير من الأطفال كما حضر بعض الكبار وجلس الجميع على المقاعد الحجرية في الفضاء تحت الشجر العالي وأقيمت حفلة مصغرة عن حفلة الليلة واختلفت عنها بأن أحداً لم يخطب، بل اقتصر الأمر على الانشاد القليل ثم تليت الزيارة، وبعدها وزع الشاي والحلويات والمناديل على الأطفال الذين كانوا بملابسهم الزاهية وكانوا ممثلين بشراً وسروراً.

مسجدان في ممباسا

ومما يذكر أن في ممباسا مسجدين كبيرين مع أن عدد الشيعة فيها لا يحتاج إلى مسجدين. وقد عرفت أن السبب في ذلك أنه حدث في إحدى السنين اختلاف بين الشيعة أدى إلى أن يختص أحد الفريقين بالمسجد وأن يبني الفريق الآخر مسجداً خاصاً به. ثم زالت عوامل الاختلاف، ولثلا يتعطل أحد المسجدين اتفقوا على أن يقيموا صلاة الظهرين في المسجد القديم والعشائين في المسجد الجديد.

البلدان التي يتوزع فيها الشيعة في افريقيا الشرقية وعددهم فيها

تنزانيا

في زنجبار وويتي وتشاكي تشاكي ودار السلام وتانكا Tanga وبينكاني Pangani وموشي وأروشا وسنجيدا ودودوما وتابورا وموانزا وبكوبا واجيجي وليندي وكلوا ومتاما ومنكويو Mingoyo ونوالا وتندورو ومساسي وككوما Kigoma وسونيكا Sogea وخروموا ومالمباكا ومكنداني وهيمو.

كينيا

في ممباسا ولاموا ونيروبي.

الصومال

في مقديشو وميركا.

اوغندا

في كمبالا Kampala وجنجا وفورت بورتل وممبالي وسوروتي وكيرامايديو وهواما واروا ومسندي ونكورا Nagora ومدغسكير (مالاغاسي) ومورتيش ورثيون وموزامبيك.

العدد لا يشمل البهرة الذين لم يتسن لنا الإطلاع على عددهم رغم محاولتنا لذلك. وهذا الإحصاء كان قبل إخراج الآسيويين من أوغندا الذين بينهم العديد من الشيعة.



المملكة العُمانية في أقصى اتساعها من مسقط إلى زنجبار